

مِنْ هَذَا وَمِنْ هَذَا

خواطر عن الدستور الانكليزي

ملخص محاضرة للسير سيمون

قرأنا في «الطان» نص المحاضرة الممتعة التي ألقاها السير جون سيمون وزير الخارجية البريطانية، في باريس، وافتتحت بها سلسلة المحاضرات السياسية الكبرى التي نظمها «الطان» وشهدها رئيس الوزارة الفرنسية وأعضاؤها وأكابر رجال الحكم والسياسة والأدب والفن والمال

وكان موضوع محاضرة السير سيمون طريفاً شائقاً وهو : «بعض خواطر عن النظام الدستوري في بريطانيا العظمى»

وقدم السير سيمون إلى الحضور رئيس الوزارة الفرنسية ميسيو فلاندان، في كلمة بليغة نوه فيها بالركز الرفيع الذي يتبوأه المحاضر في عالم السياسة والقانون؛ فهو اليوم عميد السياسة البريطانية، يتناول أقدارها ومصايرها بين يديه، وهو مشرع كبير وحام بارع يترك وراءه ماضياً حافلاً بأعظم الذكريات

والتي السير سيمون محاضراته بفرنسية بديعة؛ ولم يلجأ إلى الشروح الفنية أو الفقهية في بسط آرائه، ولكنه عرضها بطريقة واضحة سهلة، محكمة في نفس الوقت؛ واستهلها ببيان حقيقة يجهلها الكثيرون، وهي أنه لا يوجد في الواقع دستور انكليزي، أو بالحرى لا يوجد دستور انكليزي مكتوب ومبوب في نصوص ومواد يرجع إليها في تطبيقه؛ ولكن الدستور الانكليزي عبارة عن مجموعة من القواعد والتقاليد القومية، تكونت مدى القرون وأسبغت مراجع محترمة تتبع بأمانة وإخلاص. ولهذا الخاصة الغريبة قيمة هي المرونة التي تمكن ولاية الأمر من النشئ مع ظروف العصر ومقتضياته بتعديل بعض القواعد والتقاليد بطريقة جمالية؛ وضرب السير سيمون مثلاً عملياً لتطبيق هذه الخاصة، هو أنك لا تجد مطلقاً في القوانين

البريطانية ذكراً للوزارة أو مسئولياتها أو رئيس الوزارة واختصاصه؛ فالوزارة التي تمسك بيدها مصائر الحرب والسلام هي نتيجة تطور دستوري لا يعرف أصله، ومع ذلك فهي تقوم على أصول دستورية معروفة؛ فهي مسئولة أمام البرلمان، ويجب أن يكون أعضاؤها جميعاً من أعضاء البرلمان؛ وأما رئيس الوزارة فليس له ذكر أو مرجع في القوانين الانكليزية؛ وإقامته لا تستند إلى غير العادة والتقاليد، والمعروف أن البول هو أول وزير انكليزي أطلق عليه هذا اللقب واعتبر رئيساً للحكومة؛ أما قبل ذلك فكان الملك يصطفى من بين وزرائه وزيراً أو أكثر يعهد إليهم بمهام الأمور

وللوزارة البريطانية خاصة أخرى هي أن يفرق دائماً بين ديوان الوزارة «كابينت» وبين مجلس الوزارة. فأما ديوان الوزارة فلا يشمل كل الوزراء، ويمقد فقط من الوزراء الذين يمثلون الوزارات الهامة وفي مقدمتهم الرئيس؛ وهؤلاء هم الوزراء اللذين يحملون لقب «سكرتير الدولة» وعددهم سبعة، ومستشار المالية، واللورد تشانسلور، ورئيس البحرية، ورئيس مجلس التجارة وغيرهم؛ وهؤلاء يحضرون دائماً جلسات «الديوان» أما غيرهم من الوزراء الثانويين مثل وزير البريد، فلا يحضرون هذه الجلسات إلا في أحوال معينة

وقد كان العرش فيما مضى يشرف على اجتماعات الوزارة، ويرأس الملك جلساتها عادة؛ وكانت الملكة «آن» هي آخر من رأس مجلس الوزراء؛ ولكن حدث في عهد جورج الأول (أوائل القرن الثامن عشر) أن غيرت هذه العادة، فعدل الملك عن رئاسة المجلس لا لسبب سوى أنه كان ألمانياً لا يعرف الانكليزية ولكنها غدت من ذلك الحين سنة في الدستور الانكليزي، فلك انكثرا لا يرأس مجلس الوزراء منذ قرنين

ولم يكن لمجلس الوزراء سكرتارية، ولا يوضع لجلساته مجلس

إيطاليا الجديدة بالناحية الثقافية والعمل على ترقية العلوم والآداب ؛ ومنذ سنة ١٩٢٥ تعنى جهات الثقافة الرسمية بإصدار موسوعة إيطالية كبرى (دائرة المعارف) لا تقل في حجمها وموادها عن الموسوعة الانكليزية أو الأمريكية أو الروسية ؛ ولم تكن إيطاليا قد عملت بعد لأخراج موسوعة من هذا النوع ، وكان أول من فكر في تنفيذ المشروع السنار تريكاني وهو من أقطاب الصناعة والمال ، ورأى أن يستعين على تنفيذه بأقطاب العلم والأدب والفن في إيطاليا وفي خارجها ؛ ولما رأته الحكومة خطر المشروع وأهميته تناولته يديها ، وأصدرت به قراراً رسمياً في يناير سنة ١٩٣٣ ؛ وتمحلت الهيئة التي كانت قائمة به إلى هيئة رسمية ، واشتركت معظم البنوك الإيطالية الكبرى في إنشاء الاعتماد اللازم ؛ وتولى الاشراف على الناحية العلمية السنيور جنتيلي وزير المعارف السابق وهو علامة وفيلسوف كبير ؛ فجمع حوله أقطاب العلم والأدب والفن ؛ وقسمت أبواب الموسوعة إلى خمسين باباً وزعت على مختلف العلماء والاختصاصيين ؛ ودروعى فيها أن تكون تامة التماسك والتناسق ؛ فالواد تفحص حين ورودها ويستبعد منها ما كان جديلاً أو مذهبياً أو متناقضاً مع غيره ، وتصحيح التجارب مراراً عديدة ، وقد بدأ ظهور هذه الموسوعة منذ سنة ١٩٢٩ في ثوب أنيق رائع هو أبدع ما أخرجت المطابع الإيطالية وربما كان أبدع ما أخرجت مطابع العالم ؛ ومن ذلك الحين يصدر مجلد واحد كل ثلاثة أشهر بانتظام تام ؛ وسوف تظهر الأجزاء الأخيرة في سنة ١٩٣٧ ، وتكون الموسوعة في ستة وثلاثين مجلداً . وقد ظهر إلى اليوم المجلد الرابع والعشرون ووصلت المواد الى حرف P ؛ ويحتوى كل مجلد على نحو مائتى صورة ؛ وحى تطبع في مطبعة أنشئت خصيصاً لها في ميلانو عاصمة الطباعة الإيطالية ، وقد اشترك في موادها جميع العلماء على اختلاف نحلهم ومذاهبهم العلمية والسياسية ، وبلغ عدد الذين يشتركون في كتابتها ٢٥٠٠ عالم منهم نحو العشرة فقط من الأجانب ، وكتب السنيور موسوليني مادة « الفاشيزم » ، وكتب كثير من أقطاب الحركة الفاشستية عن مناحى الحركة وتطوراتها ؛ وسوف تكون هذه الموسوعة بلا ريب من أحدث المجموعات العلمية والأدبية والفنية التي ظهرت حتى اليوم

أعمال حتى الحرب الكبرى ، فاستحدث مستر لويد جورج هذه القاعدة ، وعين سكرتيراً للمجلس بداعى الحاجة وما تقتضيه الأمور من سرعة الفصل ؛ فعدت سنة دستورية ؛ وأضحى هذا السكرتير من أهم أعضاء « الديوان » وعليه مسئولية كبيرة ، فهو الذى يضع جدول الأعمال بمصادقة الرئيس ويوزعه على الأعضاء مشفوعاً بجميع الوثائق اللازمة ، وفي وسع الوزراء البريطانيين متى تركوا خدمة الحكومة أن يكتبوا مذكراتهم كما شاءوا ، ولكن قاعدة حكيمة مرعية تحمهم دائماً على احترام أسرار الدولة الخطيرة ، فلا يوحون بها مطلقاً

وهناك خاصة أخرى للوزارات البريطانية هي استقرارها وطول بقائها في الحكم ؛ وهذه الخاصة ترجع إلى عوامل ثلاثة : الأول أن الأحزاب السياسية في انكلترا قليلة العدد ، وليست موزعة القوى والفرق كما هو الشأن في بلاد أخرى . والثاني هو أن صدور تصويت ضد الوزارة لا ينتهى بإسقاطها حتماً ؛ والوزارة الانكليزية لا تطرح مسألة الثقة ؛ ولا تسقط الوزارة إلا إذا هزمت في مسألة خطيرة أو وجه اليها قرار لوم على أثر المناقشة في مسألة هامة . والثالث هو أن أعضاء الأغلبية يترددون غالباً في التصويت ضد الحكومة ، لأنه يحتمل جداً أن رئيس الوزارة إذا هزمت الوزارة ، يشير على الملك بحل البرلمان ، وهو اعتبار له قيمته في آثران النواب . والفهم دائماً أن الرئيس إذا أشار بحل المجلس ، قائماً يرجع ذلك الى أسباب جوهرية تقتضيه ؛ ولم يحدث أن رئيساً أشار مرة بالحل ورفض طلبه

وللمجلس النواب البريطاني رئيس له تقاليد خاصة واحترام عميق في نفوس الأعضاء ، وهو الذى يطلق عليه « مستر سبيكر » وهو يحمل مسئولية النظام في المجلس ، ويؤديه بمقدرة عجيبة ؛ وليس له جرس يقرعه ، ولكنه اذا احتدم الجدل الى حد كبير ، يقوم من مجلسه فقط ، فيضطر الأعضاء احتراماً لعادة قديمة أن يجلسوا جميعاً وبذلك تسود الكينة . ولم يحدث منذ ثلاثين عاماً أن أخرج عضو من المجلس أو اتخذت أى إجراءات غير عادية لتأييد النظام

الموسوعة الإيطالية

كان من مظاهر الأحياء الفاشستى في إيطاليا ، أن عنيت